

# نقصف إيران؟ ليس الآن... سنقصف اليمن

**إعداد وترجمة: ليلي زيدان عبد الخالق**

بين الحرب العدوانية على اليمن، التي شهدت تحوُّلاً في الاستراتيجية الأميركية من ضرب «القاعدة» إلى مذ يذ العون لآل سعود لتدمير اليمن بحجة «التمدد الإيراني ـ الحوثي»، وإعادة الرئيس الشرعي عبد ربه منصور هادي، وبين الولايات لـ«داعش» و«الاستقلال» عن «القاعدة»، وحيرة «جبهة النصره»، خيط رفيع يعتبر رابطاً هاماً إذا قرأنا بين السطور. هذا الرابط لا بد أن تتضح لنا معالمه فيما لو أجبنا على التساؤلات التالية: ما السبب الكامن وراء السماح ـ المignon ـ لقطر كي تدعم «جبهة النصره»؟ وما هي الأسباب التي تدفع بقطر لإقناع «جبهة النصره» بالتلمّص من «القاعدة»، علماً أنّ ذلك يقوي «داعش»؟ هل ترضى أميركا بذلك وهي التي أعلنت تحالفاً عريضا ضدّ «داعش»؟ ما الذي تجنيه واشنطن من خلال الحرب على الذين يقاتلون «داعش» و«القاعدة» في اليمن؟ هل هي سياسة ضرب عصفورين بحجر واحد؟

بين أيدينا تقريران ـ الأول يتحدث عن الحرب السعودية ـ العربية ـ الإقليمية ـ الأميركية بنكته الجماعات الإرهابية على اليمن ـ وعن دور العرب في تفجير حرب دمويّة غير شرعيّة ضدّ أقطر دولة عربية باسم «الديمقراطية».

وفيه يقول كاتب المقال: «هذا هو النظام السعودي فاحش الثراء، الفاسد، بعقلية سياسة القرون الوسطى المنشغلة بقمع شعوبها. يركّز الأئمة الوهابيون على بثّ سموم أحقادهم ضدّ الشيعة وإيران في كلّ مكان؛ «المرتدّون» وفقاً للمبدأ التكفيري، علماً أنّهم ينظرون إلى الإيرانيين على أنّهم «صفويون» أكثر تواضعاً. في إشارة إلى تحقير السلالة الصفوية في القرن السادس عشر ـ ومن الأهمية في مكان، أنّ نذكر كيف يتعاطى «داعش» مع الشيعة والإيرانيين بالطريقة عينها لكن شيئاً من هذا القبيل لم تتطرّق إليه أبداً وسائل الإعلام الغربية».
أما التقرير الثاني، فمن الصحافة العبرية، ويتحدّث عن نشر سيرة حياة زعيم «طالبان» الملا عمر، وعن حركة التنقّلات في الجماعات المتطرّفة. وفي التقرير يقول كاتبه كمحاولة لربط التقرير الثاني بالأول: «في بداية طريقه، ميّز أسامة بن لادن بين نوعين من الأعداء: القريب ـ الانظمة العربية والإسلامية التي لا تلتحق الإسلام الصحيح، والبعيد ـ وأساساً الغرب الذي يحاول تصدير ثقافته والسيطرة على بلاد الإسلام، ويزعّز القيم الدينية. ضدّ هذين العدوّين يجب القتال جنباً إلى جنب، هكذا أفتى بن لادن. وبعد الحروب في العراق وأفغانستان، تحوّل العدو البعيد إلى قريب جداً بسبب وجوده في البلاد المحتلة، الأمر الذي ساعد في تجنيد المنصرين... على هذا الأساس، أقام أبو بكر البغدادي رافعة سلطته، ففي ظلّ هذا المبني الصلب من الممكن أن يتلقى «داعش» هزيمة في دولة أو في منطقة معينة، ولكن البنية الأساسية والتنظيمية له ستستمر في التواجد، وفي ضمّ فروع «القاعدة» إليه أيضاً».

كتب بيبي إسكوبار:

يتم تلخيص عملية «عاصفة الحزم» التي روّجت لها الولايات المتحدة الأميركية ومجديتها عروض المملكة السعودية المرؤومة بـ«قتلة اليمن».

تورّطت أغنى دولة عربية ـ مغلل الأراضي النفطية ـ وبدعم من دول مجلس التعاون الخليجي ودول «الغرب» الغنية، في تفجير حرب دمويّة غير شرعية ضدّ أقطر دولة عربية باسم «الديمقراطية»...
ويبدو أنّ المنظمة العليا لسياسة الأمن والشؤون الخارجية في الاتحاد الأوروبي، فيديريكا موغريني، «لا ترى في القصف السعودي المتمرّك على المستشفيات والمستشفيات المتعدّد لعمال المواطنين، ومرافق التعليم والبنى التحتية الأساسية أمراً يمكن السكوت عنه». الموقف الغاضب نفسه أخذته موغريني إزاء ما ارتكبته حكومة كتيف البرعاني في الدونباس.

طالب كل من الصليب الأحمر والاتحاد الروسي ـ على الأقل من جانبهم ـ وفقاً مؤقتاً لإطلاق النار بهدف السماح للمساعدات الإنسانية بالوصول إلى المحتاجين ـ غير أنّ منطلق الإنفاة الإنسانية يتنافى مع منطلق آل سعود الدموي.
إذاً، وبعد أسبوعين اثنين من حلقات «الصدمة والرعب»، بلغت قائمة القتلى المئتين المئتين 560 قتيلاً على أقلّ تقدير، و1700 جريحاً ـ بينهم العشرات من الأطفال.

**باب المندب لي**

**يا عزيزي**

نقصف إيران؟ ليس الآن؛ فالأوضاع الطبيعيّ الجديد هو قصف اليمن، مع إمكانية العودة إلى فرار قصف إيران بلمح البصر. هذا ما أكدّه وزير الدفاع الأعلى في البنتاغون أشتون كارتر الأسبوع الماضي من أنّ «كل الاحتمالات موضوعة على الطاولة»، على رغم التوصل إلى تحقيق اتفاق نوويّ مع إيران في حزيران المقبل.

وهذا يسجّل للتاريخ، أنّ البنتاغون يؤكّد أنّ المفاوضات النووية مجرد ضوضاء غبار قادرة على ردع اندلاع حروب أخرى صغيرة في الشرق الأوسط ـ وغنيّ عن الشرح والإضافة، أنّ «الغرب المنحصر جداً، لم يفتأجا عندما قرّر «اوغاندا» السعوديون اجتياح اليمن الفقير ووصفه.

لا قرار من مجلس الأمن، ولا حتى تفويض من جامعة الدول العربية الفاقدة أصلاً شرعيّتها. ومن ذا الذي يهتم؟ فد«إمبراطورية الفوضى» قد قامت بمثل هذا الفعل مراراً وتكراراً وأفلقت دوماً من العقاب.

ثمّة الكثير من الهستيريا المستعرة حول ما إذا كان الحوثيون قادرّون على السيطرة على باب المندب ـ أحد أهمّ المفاحيح الاستراتيجية للطاقة العالمية جنباً إلى جنب مع مضيق هرمز، وكذلك قناة السويس. هذا منحصر هراء ـ فهمها كان الذي سبقوه به آل سعود، فإنّ الاجتدة العنيفة لـ«إمبراطورية الفوضى»، تتمثل في الحفاظ على باب المندب، خليج عدن، وجزر سقطرى اليمنية.

هذا جزءٌ ممّا يُطلّق عليه «نقطة الاختناق»: من المنظمات الخادعة التي تُروى حول الحروب العالمية على الأرهاب، إذ غالباً ما تقام الحروب قرب مناطق تمرکز الطاقة. نعتقد الولايات المتحدة أنّ الحرب البرية ستكون نتائجها أكثر وضوحاً من تلك البحرية. إنه تنكّر لخداع «حرية الملاحة» واستراتيجيتها المتشدّدة حيال الأعداء الجيوسياسيين ـ سواء أكانوا إيران، روسيا أو الصين، أو جميعهم معاً.

تنتشر «نقاط الاختناق» في جميع المناطق حول العالم؛ فنراقب الحشد المسبق للحروب انطلاقاً من باب المندب وتداعيات ذلك على اليمن مروراً بالصومال، إريتريا، إثيوبيا وجيبوتي؛ مضيق هرمز وعلاقته بإيران؛ وكذلك مضيق ملقة وإرتباطه بالبحرين، باناما وفنزويلا، قناة نيكاراغوا المستقبلية والصين، المضيق الكوري، المضيق التايواني، جزر كوريل، وأخيراً وليس آخراً بحر البلطيق.

**الغراند آرمادا تعيث في الأرض فساداً**

تدرك الاستخبارات السعودية أنّ الحوثيين لا يستطيعون السيطرة على باب المندب ـ وأنه يستحيل على واشنطن السماح بذلك. وما يغضب السعوديين، أنّ التمرّد الحوثي في اليمن، والمدعوم من إيران، قد يشجع الأفكار الثورية الخلاقة في الأوساط الشيعة في المقاطعات الشرقية من المملكة

## البناء



أخرى، والتي تحظى باللقب غير المبرّر «المعتدلة». من أجل التمكن من سطهبا من قوائم الإدارة الأميركية للمنظمات الإرهابية، وكى تتلقى بشكل مباشر المساعدات من قطر من دون إخراجها، وكى تتضمّن إلى القتال ضدّ «داعش» والرئيس السوري بشار الأسد.

إلا أنّ «جبهة النصره» التي تسيطر على عدة مناطق استراتيجية، ما زالت ترفض القرار. ولم يتضح للمنظمة بعد ما هي الفائدة التي ستجنيها من انفصالها عن «القاعدة» والتي تجربها على القتال إلى جانب منظمات لها اختلافات إيديولوجية معها وربما تقاسمها بعض المناطق الخاضعة لسيطرتها، والتي تجنى منها أرباحاً أتيّة. وفي المقابل، فإن رفض الطلب القطري من شأنه أن يمن بمصادر تمويلها. وفي حال نجحت قطر بضمّ تركيا إلى محاولات الإقناع، فإن ذلك من شأنه أن يغلّق الممرّ الأمنّ والحيوي مع تركيا من أجل نشاطات «جبهة النصره».

تدلّ منظومة الاعتبارات هذه على أن الولاة أو عدمه للتنظيم «القاعدة» غير قائم على الإيديولوجيا، بل على قيم براغماتية تتعلق ببقاء التنظيم. وبناء على ذلك، فإن «جبهة النصره» تدرس إمكانية إقامة منظمة جديدة باسم جديد، يسمح لها بالتحرّر من قائمة المنظمات الإرهابية من جهة، وضمان تمويلها من جهة أخرى. ولكن على ما يبدو أنّ خطوة كهذه ستسبّب انشقاقاً جديداً في صفوف المنظمة، ما يضاعف قوتها العسكرية وكذلك قوة مساومتها أمام قطر.

لقد تلتقت «جبهة النصره» ضربة إضافية ثقيلة هذا الأسبوع، بعدما خسرت معركة مخيم اليرموك الفلسطيني. فالقوة المسلحة الأكثر تأثيراً في المخيم تعود لمنظمة «أكتاف بيت المقدس»، التابعة لـ«حماس» والمدعومة من الإخوان المسلمين في سورية، خصوم «جبهة النصره» فالصراع بين هذه التنظيمات جاء لمصلحة «داعش»، ووفقاً لعدة تقارير، فإن أفراد من «جبهة النصره» ساعدوا «داعش» في القتال ضدّ «أكتاف» المنظمة المحسوبة. وهناك شكوك كبيرة أنّ هذه الإجراءات قد نسّقت مع الظواهري، البعيد إيديولوجياً عن «داعش»، وعن الإخوان المسلمين. طبيعة الأزمنة متغيرة، والتي تعرض كل لحظة منظومة جديدة وأحياناً غير متوقعة من التحالفات بين المنظمات، تجعل من الانتماء إلى أعلى ـ لكل منظمة ـ على غير ذي صلة بالإيديولوجيا. فلم يعد يفرق إذا كانت «جبهة النصره» تابعة لـ«القاعدة» أو حتى تمول من قبلها، حتى ولو كانت تابعة للأزمنة متنافسة. إذ عملت «القاعدة» بصورة مشابهة من قبل، فابتعدت من داخلها الذي يناقشها حالياً على وجودها.

في بداية طريقه، ميّز أسامة بن لادن بين نوعين من الأعداء: القريب ـ الانظمة العربية والإسلامية التي لا تلتحق الإسلام الصحيح، والبعيد ـ وأساساً الغرب الذي يحاول تصدير ثقافته والسيطرة على بلاد الإسلام، ويزعزع القيم الدينية. ضدّ هذين العدوّين يجب القتال جنباً إلى جنب، هكذا أفتى بن لادن. وبعد الحروب في العراق وأفغانستان، تحوّل العدو البعيد إلى قريب جداً بسبب وجوده في البلاد المحتلة، الأمر الذي ساعد في تجنيد المنصرين، ليس فقط باسم الدين، بل باسم القومية. ولأحقاً نشأ بن لادن فروعاً في معظم الدول الإسلامية التي دعمت من قبل منظمات متطرّقة وإرهابية، والتي كانت أمدافها الرئيسة، الانظمة المحلية. ولكنهم ساهموا أيضاً في نشاطات لهام دولية.

على هذا الاساس، أقام أبو بكر البغدادي رافعة سلطته. ففي ظلّ هذا المبني الصلب من الممكن أن يتلقى «داعش» هزيمة في دولة أو في منطقة معينة، ولكن البنية الأساسية التنظيمية له ستستمر في التواجد، وفي ضمّ فروع «القاعدة» إليه أيضاً.

**زلال في المنظمات «الجهادية»**

وفي سياق الحديث عن «القاعدة» و«داعش» والمتفرّعات من المنظمات «الجهادية»، لفتنا مقال كتبه تسفي برثيل\*\* في صحيفة «هاآرتس» العبرية وجاء فيه:

حدث زلزال هذه الأيام للمنظمات «الجهادية»: هذا الأسبوع، وللمرة الأولى منذ عشرين سنة، نشرت «طالبان» سيرة حياة زعيمها الملا عمر ـ الذي استضاف أسامة بن لادن ومنحه المأوى في أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول، والذي حافظ لعشرات السنين على سرّيّة مطبقة التي جعلت منه شخصيّة غامضة، معروفة لدى القائل فقط.

لم تُنشر صورته أو طبيعة حياته أو مكان اختفائه غير المعروفين. يعتبر نشر سيرته الذاتية، ثقافته وأثره الكثيرة ضدّ «العدو الأميركي» أمراً استثنائياً، ويثير اهتماماً كبيراً، وتحديدًا بسبب توقيته.

وفقاً لخبراء أفغانيين وباكستانيين يتابعون المنظمات «الجهادية»، فإن التفسير لسخر الأسيوار الغامضة، مرتبط بالتسرّب المتزايد من مسؤولي «طالبان» إلى «الدولة الإسلامية ـ داعش». الذين يشعرون أنّ زعيم «طالبان» منفصل عن جمهور مؤيديه وأنه لم يعد مؤهلاً من أجل إكمال رسالة الحركة العليا. خصوصاً أنّهم يرون أنّ مصادر تمويل الحركة أخذت بالانكماش. كما أنّ هناك جزء آخر من الحركة يعارضون عملها التصالح مع الحكومة الأفغانية خوفاً من أنّ عدم نجاح المشروع، سيؤدّي إلى تراجع الحركة عن مراكز القوة التي سيطرت عليها.

من هنا، جاء إبراز قوّة الملا عمر ووجوده العلني، وعرض نفسه كزعيم وحيد ممكن لحركة «طالبان»، وكبح جماح تيار «المتسرّبين» إمارة داعش في خراسان»، التي تلطم لتفجير «الحركة الإسلامية» في أفغانستان وباكستان وإيران والهند.

في الطرف الآخر من الشرق الأوسط، نُشرت مؤخراً تقارير من عدة مصادر، جاء فيها أنّ زعيم «القاعدة» أيمن الظواهري، يعتزم الاستقالة. ووفقاً لهذه التقارير، فإن الظواهري أعطى الحرّية لرؤساء «الفروع» في أنحاء الشرق الأوسط من منح الولاة للمنظمة، وحجّهم على الانضمام إلى منظمات إسلامية أخرى، ومن بينها «داعش».

هذه المعلومات المفضّلة جداً أدلى بها أيمن دين، أحد نشطاء «القاعدة» الذي تركها في تسعينات القرن الماضي، إلاّ أنّه ما زال يحافظ على روابط وثيقة مع المنظمات الإسلامية. ففي مقابلة مع صحيفة «الحياة» اللبنانية، تحدّث دين كثيراً عن أنّ الظواهري توصل إلى استنتاج مفاده أنه لم يعد مؤهلاً لمنافسة «داعش». على رغم نجاحه في إقامة ثلاثة فروع جديدة في الصومال والشباب»، وفي سنياء والهند. الخلافات الداخلية، خصوصاً في الفرع الأهم في اليمن، والذي اجتاز جزءً منه الحدود إلى «داعش»، جعل من «القاعدة» منظمة ثانوية وهامشية.

وفي سورية أيضاً، والتي عملت فيها «القاعدة» من خلال «جبهة النصره»، بزعمامة أبي محمد الجولاني، فإن وضع المنظمة فيها أيضاً ليس مثنيّاً. فجمعة «النصره» التحقت بهد «القاعدة» في مرحلة متأخّرة من القتال ضدّ «داعش»، وفي أعقاب الخلاف المبريز بين الجولاني وزعيم «داعش» أبي بكر البغدادي ـ فالبغدادي الذي كان زعيم «القاعدة» في العراق قبل أن يصل إلى سورية، تم الطلب منه من قبل الظواهري بالعودة إلى العراق، والعمل من هناك، وأن يترك لـ«جبهة النصره» إدارة المعركة في سورية. إلاّ أنّ البغدادي، الذي أصبح سيطراً على عدد من المناطق في البلاد، رفض طلب الظواهري وعلن انفصاله عن «القاعدة». من خلال توجيه بعض الشتائم للظواهري، ورفض التعاون مع الجولاني إلى أن يعلن الولاة له.

إلاّ أنّه يبدو مؤخراً، أنّ «جبهة النصره» أيضاً تواجه معضلة صعبة. فقطر التي على مدار سنوات وفّرت لها التمويل والمساعدة، ووضعتها تحت رعايتها غير الرسمية، تتطلع إلى فصلها عن «القاعدة» وإحاقها بمنظمات إسلامية

إذاً، نحن نقف أمام «إمبراطورية الفوضى»، التي تقود من خلف الستارة، الحرب الدائرة في اليمن، وكذلك الحرب ضدّ «داعش»: فالأحمال الثقيلة تلقى على عاتق الميليشيات العراقية المدعومة من طهران. أما الأجددة أو الأهداف المخفية، فهي وكما جرت العادة ـ الفوضى: سواء في سورية والعراق أو داخل اليمن. وكى تصيب عصفورين بحجر واحد، تسمى واشنطن إلى عقد صفقة نووية مع إيران، فيما تتحالف ضدها مع آل سعود.

**فييتنام... هذه المرّة**

**في الصحراء**

يرفض آل سعود أن تحصل باكستان على أيّ سجين، أو تقديم الدعم بمفجرات الطائرات، السفن وغيرها الكثير من العديد البري في جريم على اليمن. تتعاطى الرياض مع الإسلام أبداً على أنها دولة تابعة. ومن المهم للغاية أنّ نطلع على حبيثيات ما جرى في القناة التلفزيونية الأكثر شعبية في باكستان، التي حاولت معرفة موقف الأحزاب السياسية من الحرب السعودية على اليمن. يُتوقع من باكستان أن تكون محايدة؛ وإنّ تتصرّف كوسيط؛ وتتحاشي التورط في أيّ تدخل عسكريّ، ما لم يكن هناك «تهديد ملموس» للحرّمين الشريفيين في مكة والمدينة المنوّرة، وهذا مستبعد جداً.

يستمز آل سعود في دقّ الأموال بالأطنان على السفليين والأئمة المتعصبين الداعين بأبواقهم إلى الحرب ضدّ الحوثيين اليمنيين؛ والسّذي بدأت تتجلى طلائعه في، باكستان من خلال المقاتلين المرزبين من قبل «القاعدة»، والذين حاربوا مع «طالبان» في أفغانستان؛ ومؤلّم الوهابيون المتعصبون.

وفي الوقت عينه، قد تتغيّر قواعد اللعبة الحقيقية المستقبلية في الصفوف الامامية. فها هم الحوثيون يطلقون الصواريخ عبر الحدود نحو منشآت النفط السعودية. وما لبثت أن سقطت كل الرهانات، بعد التأكد من امتلاك الحوثيين الصواريخ بعيدة المدى.

يلخص هذا السيناريو كيفية استدرج الاستخبارات الخارجية، آل سعود إلى المستنقع الفييتنامي في اليمن، وتوريطهم بتحمّل السيل من الصواريخ التي تستهدف القوتل والبارهم النفطية، والعقبات الكارثية لكل ذلك على الحوثيين العالمي.

إنه لمن المهم للغاية أنّ نتذكّر أنّ الغراند آرمادا الفاسدة والتي صنّعت في الرياض، تحتوي على ما لا يقل عن 32 في المئة من إنتاج النفط العالمي... لكن الأمر لن ينتهي على ما يُرام.

كل شخص في اليمن يملك أسلحة رشاشة، ناهيك عن الكذائف الصاروخية والقنابل اليدوية. فالنصراريس، الجبلية الوعرة هي فضاء العصابات الرحب. تاريخ يزيد على ألفي سنة من محاربة القبائل للغزاة الأجانب. يكره

معلم اليمنيين السعوديين ويرغون بالانتقام منهم؛ وتميل الغالبية اليمنية إلى تصديق ما أعلنه الحوثيون نهاية شباط الماضي، من أنّ الولايات المتحدة الأميركية وآل سعود يخططان لتدمير اليمن.

يشمل التمرد السعودي كلا من السنة والشيعة، ما يفضح ادّعاءات السعوديين من أنّ التمرد يقوم به الحوثيون والشيعة فقط. فعندما استولى هؤلاء على مكتب الأمن القومي اليمني، والذي هو في حقيقة الأمر مركز للاستخبارات الأميركية، عثروا داخل أدرجه على ثروة سرّيّة من الوثائق العسكرية «الخطيرة» لفصول الحرب الحالية في اليمن، فضلاً عن شروط توظيف عدد من الجنود اليمنيين. غير أنّ كل هذا بالنسبة إلى السعوديين لا يبدو كونه مزحة فظيلة.

لا تزال عملية «عاصفة الحزم» حرباً أخرى غير مشروعة للبنتاغون أدخلت اليمن في دهاليز الحرب الأهلية والكوارث الإنسانية، فلا يمكن لبقايا «القاعدة» في شبه الجزيرة العربية، ولمقاتلي التنظيم «الداعشي» كإرهي للحوثيين والشيعة أن يكونوا أكثر راحة وسعادة. لا تتالي «إمبراطورية الفوضى» لكل هذا الذي يجري في المنطقة. فكلما زادت الفوضى، كلما كان ذلك أفضل لحرب البنتاغون العالمي.

كتبت مرة وقبل خمس سنوات، أنّ اليمن وزيرستان جديدة. وما هو الآن يسير على خطى صومال جديدة، وقد يصبح قريباً فييتنام آل سعود.



«طالبان»



«داعش»



«جبهة النصره»



«القاعدة» في اليمن